جودي ويليامز

حصلت جودي ويليامز على جائزة نوبل للسلام عام 1997 تقديراً لأعمالها في مكافحة الألغام الأرضية. وقبل عملها في مجال تحريم الألغام الأرضية، عملت لأحد عشر عاماً في مجال زيادة الوعي الشعبي حول سياسات الولايات المتحدة في أمريكا الوسطى. ومن عام 1986 وحتى عام 1992، قامت بتطوير وتولي مهمة إدارة مشاريع المساعدات الإنسانية بصفتها نائب مدير منظمة المساعدة الطبية في السلفادور ومقرها في لوس أنجلوس. ومن عام 1984 وحتى عام 1986 تولت إدارة مشروع نيكاراغوا- هندوراس، وهي لجنة لتقصي الحقائق في المنطقة. وقبل ذلك، عملت في تدريس اللغة الإنجليزية كلغة ثانية في المكسيك، والمملكة المتحدة، وواشنطن العاصمة.

جيرمي إيرب: لماذا كنت من المعارضين لهذه الحرب قبل أن تبدأ؟ لماذا كنت واحدة من الذين شاركوا في المظاهرات المعارضة للحرب منذ البداية؟

إن حكومة بوش هي أخطر حكومة في تاريخ الولايات المتحدة. وقد صرحتُ بذلك عقب أحداث 11 سبتمبر مباشرة. ولم يتضح مدى تطرف وخطورة هذا الرجل إلا بعد 11 سبتمبر. وباعتقادي أن السؤال الذي يتردد في أذهاننا جميعاً هو أين ستكون هذه الحكومة اليوم لو لم يحدث ما حدث في 11 سبتمبر. وأظن أنك سمعت التعليق الذي يقول بأن بوش كان بحاجة إلى أسامة بن لادن بقدر حاجة أسامة بن لادن لبوش، لتحقيق مهمة هذه الحكومة. ولا أعرف ما ستكون حاله لو لم يعثر على الحرب على الإرهاب لتحديد نفسه. ومن وجهة نظري، فإن

أكثر اللحظات المرعبة كانت بعد أن نزل الرئيس من الطائرة الخاصة به. وأذكر مشاهدته على شاشة التلفاز وهو ينظر إلى الأعلى و يقول:"لقد وجدنا لحظتنا، لقد وجدنا مهمتنا". كانت تلك اللحظة تبعث على القشعريرة. لقد بدا وكأنه يفصح للأمة أنه يؤمن أنه وقع عليه الاختيار من الرب لكي ينجينا جميعاً من الإرهاب. وأظن أن من سوء الطالع أن هذا الموقف يتلاحم مع الأجندة السياسية الخطيرة للعصبة التي تحيط به في البيت الأبيض. وأعتقد كما يعتقد الكثيرون، أن 11 سبتمبر قدمت له الفرصة لتنفيذ برنامج كانوا يخططون له منذ عقود.

جيرمي إيرب: تحدث ريتشارد بيرل قبل أيام بحديث يناقض ما تقولينه. وليس هو الوحيد الذي يقول ذلك. بل ترددت الفكرة على لسان كثيرين من المحافظين الجدد الذين يتمتعون بتأثير كبير في هذه الحكومة. وما قاله هو أن الفكرة القائلة بأن 11 سبتمبر قدمت لهم فرصة لتنفيذ أجندتهم هي فكرة ساذجة وماكرة. ويقولون بأنه ليس صحيحاً أنه كان لديهم أجندة وأن 11 سبتمبر جاء ليمكنهم من الدفع باتجاه تطبيقها. بل إن 11 سبتمبر كان جرس الإنذار لليبراليين ودعاة السلام وأنصار الواقعية في السياسة الخارجية والذين يعتقدون بأن إستراتيجية الاحتواء القديمة ستكون كافية لمنع حدوث هذه الكابوس مرة أخرى.

إنني أتفهم حرصهم على ترويج أن احتلال العراق كان رداً على ما حدث في 11 سبتمبر، ولكني أعتقد أن ما يقولونه كذب محض. وأعتقد أن هذه الحرب هي جزء من أجندة المحافظين الجدد في التشديد والتأكيد على تفوق الهيمنة الأمريكية. وقد بدأ هذا التفكير عقب انتهاء الحرب الباردة، وبعد انتهاء الحرب الباردة لصالح الولايات المتحدة في عهد رونالد ريغان. وكان دك تشيني في عهد حكومة بوش الأول يتحدى من حوله أن يفكروا بأفق أوسع وطموح أكبر. وكان

الشخصان الرئيسان في هذا التحدي على ما أذكر هما ولفوويتس وباول- لقد دعاهما إلى التفكير بمهابة حول عالم ما بعد الحرب الباردة تكون فيه الولايات المتحدة الأسمى منزلة. كيف يمكن للولايات المتحدة أن تستخدم قوتها، وثروتها، وجيشها، وتقنيتها..الخ والتي لا يضاهيها فيها أحد في العالم، كي تسيطر على العالم؟ ومن سوء الطالع، أن النموذج الولفوويتسي، والذي كان أكثر عدوانية وشراسة، هو النموذج الذي يعتقد تشيني ورفاقه بأنه هو المنهج الصحيح. وقدم 11 سبتمبر لهم الفرصة لوضع تلك الخطة التي اقترحوها في عهد بوش الأول موضع التنفيذ. إنني أعي التلفيق الذي يحاول بيرل أن يضفيه على المسألة، وهو تلفيق يوازي ما تردده حكومة بوش باستمرار وتدعي فيه أن لصدام حسين علاقة بما حدث في 11 سبتمبر. وهي كذبة سافرة. حتى إن بوش نفسه اعترف عندما سئل على حين غفلة في مؤتمر صحفي بأنه لا توجد صلة أكيده بين صدام حسين و11 سبتمبر. ومع ذلك، كم مرة تكرر ادعاؤهم بوجود هذه الصلة؟ إنها تلفيق إعلامي. إنها كذب صريح.

جيرمي إيرب: هل شاهدت المقابلة التلفازية التي أجرتها دايان سويار (مع بيرل) وضغطت عليه بخصوص هذه الصلة المزعومة بين صدام حسين و11 سبتمبر؟ وكان رده، بأن وجود هذه الصلة أو عدم وجودها ليس له أهمية. وهي ليست القضية. ويبدو أن كثيراً من الأمريكان يفكرون بنفس الطريقة. كثير من الناس الذين باتوا يعلمون الآن أنه لا يوجد أسلحة دمار شامل في العراق سيلوون رؤوسهم قائلين:" هذا لا يهم. لقد كان صدام دكتاتوراً وحشياً. ويكفي أننا تخلصنا من شخص سيء".

لا أحد يناقش بأن صدام حسين كان حاكماً سيئاً. والسؤال الذي أطرحه على الطلبة في جامعة هيوستن في كل مرة أتحدث فيها إليهم، هو: إذا جاء

جورج دبليو بوش إلى الشعب الأمريكي وقال:" إنني أريد أن أحتل العراق لأن صدام حسين شخص سيء، وأريد أن أحتل العراق لأنني أعتقد أن الشعب العراقي أهل للديمقراطية وبإمكاننا أن نجلبها إليهم". ولو ذهب إلى الكونغرس وقال الشيء نفسه، فهل كان الشعب الأمريكي سيؤيد ذلك الموقف؟ لماذا لا نقوم باحتلال بورما؟ إنها دولة تسيطر عليها دكتاتورية عسكرية منذ الثمانينيات. لماذا لا نقلب نظام حكم مشرف الذي استولى على الحكم في باكستان بانقلاب عسكري، ويرفض إعادة الحكم الديمقراطي إلى البلاد كما قال بأنه سيفعل؟ لماذا نتعاون مع الجمهوريات السابقة للاتحاد السوفييتي في آسيا الوسطى- وطاجيكستان، وتركمانستان، أصدقائنا الجدد حديثي العهد، والتي تحكمها دكتاتوريات فظيعة تقمع المعارضة، وتمنع حرية التعبير وحرية الصحافة، وتنتهك حقوق الإنسان، و إلى غير ذلك من المخالفات والانتهاكات غير المقبولة المنتشرة في تلك البلاد؟

إننا ندعم الديمقراطية عندما تكون مواتية لمصالحنا. ربما أكون مثالية في اعتقادي بضرورة وجود معيار لتحديد سياساتنا الخارجية، إلا أنني أعتقد بوجوب أن يكون هناك معيار. إننا نبدو أمام العالم منافقين، وكذابين، إننا نظهر كقوة إمبريالية. ومن المؤسف حقاً أن معظم الشعب الأمريكي لا يدرك مدى كره العالم لأمريكا. إذا ذهبت خارج البلاد- ولا أعنى هنا المنتجعات السياحية في المكسيك- إذا ذهبت وتحدثت إلى الناس حول العالم فستجدهم مذعورين من تصرفات الحكومة الأمريكية. وهذا أمر محزن بالنسبة لي. وكان من دواعي سروري، وفرقي أيضاً، أن أتعامل مع مسئولين حكوميين وعسكريين في مختلف أنحاء العالم من دبلوماسيين أتراك إلى قادة عسكريين كنديين إلى تايلنديين، وقال لي معظم الذين تحدثت إليهم بأنهم خائفون من الحكومة الأمريكية بقيادة جورج بوش. وخائفون من الجيش الأمريكي تحت إمرة رمسفيلد. وهذا حقاً شيء مرعب.

جيرمي إيرب: كنت تناضلين من أجل حفز الولايات المتحدة على التجاوب مع قضية الألغام الأرضية في عهد حكومة كلينتون. وخالطت كثيراً من الناس في تلك الفترة. هل تشاهدين أي فارق في تصرف الأشخاص المسئولين في ذلك الوقت وبين ما تشاهدينه وتسمعينه الآن؟ هل هناك فرق في الطريقة التي يتحدثون بها عن الولايات المتحدة كقوة إمبريالية، ولكن بقيادة أشخاص مختلفين يروجون لها؟

يدرك الناس أن القوة العظمى لديها مصالح تخصها تقع على رأس أولوياتها. عندما كنا في زمن الحرب الباردة، وعندما كان الصراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، كان هذان المعسكران يضعان مصالحهما أولاً. ولكن ومن خلال تجربتي، فإن الناس يلاحظون تغيّراً جذرياً بين الحكومات الأمريكية السابقة وحكومة بوش. وهناك اعتقاد يقول بأنه وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة كانت حقاً تريد أن تثبت مكانتها وتعزز من هيمنتها الآن في ظل نظام القطب الأوحد، إلا أنه كان بإمكان المرء أن يتحدث إلى المسئولين في عهد حكومة كلينتون، وأن كلينتون كان ينظر إلى الأمور نظرة عالمية، وكان لديه تفهم أنه حتى وإن قامت الولايات المتحدة بتعزيز هيمنتها العالمية، فإنه يتحتم عليها أن تبقى ضمن هذه المعادلة المعقدة بطريقة أو بأخرى. قد يكون لها الوزن الأثقل في المعادلة إلا أنها مع ذلك يجب أن تتوازن مع العناصر الأخرى. ومن وجهة نظري فإن حكومة بوش، ومن خلال تجربتي في حملة مكافحة الألغام الأرضية ودعمي للمحكمة الجنائية الدولية، تتصرف ضمن إطار "طريقتي فقط وإلا فلا". وقد عبر الأشخاص الذين تحدثت معهم من الحكومات الأجنبية الأخرى عن هذه النظرة بكل وضوح، وهو أن الحكومة الأمريكية عندما ترسل مبعوثيها إليهم، لا يكون ذلك من أجل مناقشة كيف يمكن لتلك الدولة أن تتعاون مع الولايات المتحدة حول القضية الفلانية. بل تأتي الولايات المتحدة لتقول" هذا هو ما نريده، وعليكم أن تفعلوا كذا وكذا".

إن من السهل أن تختبئ خلف الخوف هنا في الولايات المتحدة وتقول بأنهم يكرهوننا بسبب حريتنا. "هم" هذا الضمير الهلامي. كنت ذات مرة في الطائرة وبجانبي امرأة، فنظرت إلي وقالت:"أليس فظيعاً أنهم يكرهوننا على حريتنا؟." فقلت لها "ومن هم هؤلاء؟" بالطبع، إنهم "هؤلاء" العرب المتطرفون. فقلت لها، "إذا نظرت إلى استطلاعات الرأي في الدول التي يوجد فيها حرية تعادل الحرية الموجودة لدينا أو أكثر، فإن الغالبية العظمى من السكان في تلك الدول لا تحبنا كذلك. فهل يكرهنا هؤلاء بسبب حريتنا أيضاً؟" إنهم لا يكرهوننا لأننا أحرار. إنهم يكرهوننا لأنهم يخافون من قوتنا العسكرية ومن استعدادنا لاستخدام تلك القوة بأي ثمن كان، وفي تجاهل صارخ لمشاعر المجتمع الدولي.

جيرمي إيرب: ما الذي تعنيه بقولك بأن هذه الحكومة هي أخطر حكومة في تاريخ الولايات المتحدة؟

أعتقد أنها كذلك. لقد دارت مناقشات حادة بيني وبين زوجي حول هذا الموضوع منذ 11 سبتمبر. وأعلنت وقتها أن هذه الحكومة هي أخطر حكومة مرت علينا في حياتنا. حتى أنني تمنيت ومن قبيل السخرية أن أرى رونالد ريغان يعود إلى الحكم ثانية بدلاً من هؤلاء. وأظن أنك قرأت ذلك في بعض الصحف. وربما يقال ذلك من باب التندر، ولكن على الأقل كان ريغان مقيداً بعض الشيء. لذلك ثار نزاع بيني وبين زوجي، وقال لي:"كيف تقولين ذلك؟ هناك عدد كبير من المسئولين في هذه الحكومة كانوا في حكومة ريغان وخدموا أيضاً في حكومة بوش الأول". فأجبته: هذا صحيح، وهو ما أعنيه بالضبط. فخلال تلك السنوات التي كانوا فيها داخل الحكم عكفوا على تصميم أجندتهم للمستقبل. ولما جاء كلينتون خفت نشاطهم داخل الحكومة لعدة سنوات، ولكنهم عادوا بقوة مع فوز جورج بوش دون وجود معارض لهم داخل الحكومة. وعندما كانوا في حكومة ريغان كانوا على الأقل مشغولين بمجابهة الاتحاد السوفييتي. وفي ظل حكم بوش

(الأول) كانت الرؤية مشوشة حول ما ستستقر عليه الأوضاع الدولية. أما الآن فليس هناك أي تشويش، فهذه الزمرة بيدها قوة لا تضاهيها قوة أخرى في العالم، وهم على أتم الاستعداد لاستخدامها بحسب ما يحلو لهم. وهذا الأمر مخيف طبعاً.

إنهم لا يكترثون برأي العالم ولا يحسبون حساباً لأي أحد. وهذا في نظري شيء مرعب. إنهم يتحدثون عن استخدام الأسلحة النووية. وهم يتحدثون عن تطوير أسلحة نووية صغيرة يمكن استخدامها كالأسلحة التقليدية. أليس هذا مرعباً بالنسبة لك؟ أعتقد أن هذا غير معقول. ثم نتساءل لماذا نشهد انتشاراً لأسلحة الدمار الشامل؟ إنه الجنون بعينه. هل سنقوم بالإطاحة بكل هذه الدول؟ هذه هي وجهة نظر ريتشارد بيرل. لقد نشرت صحيفة لندن ديلي تلغراف مقالة قبل أيام تتناول أجندة بيرل. فكما هو معلوم أن بيرل يطالب بالقضاء على سوريا وعلى إيران. وأن نذهب ونقضي على كوريا الشمالية أيضاً. فهل سنقوم بالقضاء على كل هؤلاء؟ ومتى نتوقف عن القضاء على هذه الأنظمة؟ وبالطبع سنحتاج إلى القضاء على باكستان إذا اغتيل مشرف... فهل سنقضي على ذلك البلد؟ هل سنطيح بالهند كذلك لأنها تمتلك سلاحاً نووياً؟ وما أعنيه هو ما هو الحد الذي سنقف عنده؟

والسؤال الآخر الذي يتردد في ذهني هو لماذا يعتقد الناس في الولايات المتحدة أن امتلاكنا أسلحة أكبر وأكثر ستجعلنا أكثر أمناً من الإرهاب؟ إننا نمتلك أكثر الأسلحة تطوراً في العالم. ولدينا من الأسلحة النووية ما يفوق ما لدى بقية العالم أجمع. فهل عمل ذلك على منع وقوع هجمات 11 سبتمبر؟ إنها لم توقفها. ولو امتلكنا مزيداً من الأسلحة النووية، ولو امتلكنا أسلحة نووية مصغرة، ولو امتلكنا هذا السلاح أو ذاك، أو غيره، فكيف سيحول ذلك دون وقوع هجوم إرهابي؟ إنها لن تمنعه.

جيرمي إيرب: هل تعتقدين أن التعبير عن الآراء التي تطرحينها الآن هو أسهل مما كانت عليه الحال بعد 11 سبتمبر مباشرة؟

إنني أعبر عن هذه الآراء دائماً. ولي كامل الحق في التعبير عما أعتقد. وهذا هو ما يمكننا من القول بأن لدينا بعض الديمقراطية في أمريكا. ويشعر الناس أن لهم الحق في التعبير عن آرائهم، وكانوا في البداية يخافون من إبداء رأيهم، وما زال هناك قسم عريض من الناس يخافون من التحدث عما في نفوسهم. وهو أمر مدهش بالنسبة لي. فعندما أتحدث عن جماعة بوش فإنني أتمنى أن أنام وأستيقظ لأجدهم قد اختفوا من الوجود. إلا أنهم لن يذهبوا بهذه السهولة.

ومنذ خريف عام 2003 عملت أستاذاً زائراً في جامعة هيوستن، وكنت أناقش مع طلبتي عدداً من القضايا العالمية، وكتبت إحدى الطالبات المشاركات في حلقات النقاش التي كانت تجري عبر الإنترنت، تقول بأنها تحدثت إلى عدد من الطلبة المشاركين فأبدوا مخاوفهم من التعبير عن آرائهم خشية أن يكونوا مراقبين من قبل جون آشكروفت. فما كان من تلك الفتاة إلا أن قالت:"يا للسخف! كيف وصل الحال ببعضنا في أن يفكر بأن كونه طالباً في جامعة هيوستن فإن آشكروفت قلق حول ما سيقول،" ومع ذلك، فقد مارست تلك الفتاة الرقابة الذاتية لأنها خشيت أن هناك من يراقب ما تقول. وليس لي علم بتفكيرها حول ما ستفعله الحكومة بتلك المعلومات.

وبعد ذلك، كنت في مدينة دنفر في ولاية كالورادو، وكنت أتحدث أمام منظمة تدعى بيس جام، وهي منظمة تسعى إلى تثقيف الشباب بأن العمل من أجل السلام هو عمل شاق، وأنه ليس بالحلم الطوبائي. إنه عمل يتطلب وضع وتطوير خطة للعمل والقيام بنشاطات تساهم في بناء السلام. إنه ليس معجزة، وليس طوبائية. إنه عمل شاق. وجاءتني إحدى المعلمات المشاركات في هذا

البرنامج تقول: "لم أعد أجرؤ على التعبير عن رأيي في أمريكا بعد اليوم. ولا أجرؤ أن أتحدث عن معارضتي لبوش." وكانت هذه المعلمة قد سبق أن شاركت في مسيرة تعترض على الحرب تحت شعار "ليس باسمنا"، فحاول أحد الناس أن يصدمها هي وابنها الصغير بسيارته، ليس لدهسهم وإنما لترويعهم. وقالت لي بأن ذلك الحدث أرعبها، وأنها تشعر بالعزلة والخوف من التعبير عن رأيها في أمريكا هذه الأيام.

وبعد أسبوعين كنت في سان فرانسيسكو، وجاءت معلمة أخرى وقالت لي بأنها تدرس فن المناظرة، وأرادت من الطلاب والأستاذ أن يقيموا مناظرة حول القيم الأمريكية في عهد بوش، إلا أنها لا تجرؤ على ذلك. إنها تخشى عاقبة ما سيحدث لها، وما سيحدث لطلابها إذا أخبرتهم بما يجري في أمريكا إذا لم يوجد أمامهم طريق للتعبير. ولذلك مارست الرقابة الذاتية.

إن المواطن الذي يمارس الرقابة الذاتية يحمّل نفسه عبء القيام بأكثر من 90٪ من عمل الحكومة في هذا المجال. ومتى ما نجحت الحكومة في ذلك فليس عليها القيام بأي شيء. وإذا أخافوك إلى الحد الذي لا تجرؤ معه على التعبير عما يدور في خلدك، فهذه هي بداية الحكم الشمولي الدكتاتوري. وإني لأجد ذلك أمراً مفزعاً. ويدفعني إلى عقد العزم على عدم الوقوع في الرقابة الذاتية. ولا يهمني ما سيحث.

جيرمي إيرب: كيف تصفين نظرة اللاعبين الرئيسيين في هذا الحكومة للعالم؟

أجد المقالة التي تحدثت حول ولفوويتس مؤخراً من المضحكات. إنها تطلق عليه وصف الطوبائي الحالم. وتصفه بالمفكر الأكاديمي- وبصراحة، كدت أن أتقيأ إعياءً من تلك المقالة- إن ذلك هو ما يفعله الأشخاص الذين يخرجون من السلطة فهم إما أن يتوجهوا إلى الحقل الأكاديمي، أو إلى معاهد الفكر. وليس

ذلك لأن ولفوويتس كان ذلك المفكر العظيم الذي دعت الحاجة الملحة إلى انتزاعه من أبراجه العاجية من أجل المساعدة في بناء أيديولوجية حكومة بوش. فكم عدد الحكومات التي عمل فيها ولفوويتس. وها نحن أمام مقالة تصفه بالحالم العظيم الذي يسعى إلى إقامة الديمقراطية في العراق. وربما أن في تكوين هذا الرجل ما يجعله يؤمن بالديمقراطية، إلا أن الإدارة التي يعمل فيها هي بكل تأكيد تقمع الحريات والحقوق في أمريكا اليوم. إنني لا أعتقد أن بإمكانك أن تقيم الديمقراطية في دولة بالطريقة التي تتبعها هذه الإدارة، عن طريق الاحتلال والاجتياح العسكري، مع الجهل المطبق بالثقافة والأصول الإثنية والثقافة السياسية في ذلك البلد. إنني لا أصدق ما يحدث، إن هذه المجموعة مدفوعة بغرورها وبنظرتها الخاصة للعالم. لقد طوروا رؤيتهم الشخصية للعالم عن طريق الجلوس معاً في مجموعات صغيرة والتحدث مع بعضهم بعضاً. وهناك مقالة مثيرة حول جورج بوش تقول بأنه لا يعبأ بالأخبار والمستجدات التي تحدث في العالم لأنه يتلقى معلومات موضوعية من أشخاص مثل كونداليزا رايس و ولفوويتس وبيرل. وإذا كان مثل هؤلاء الثلاثة الذين تتطابق وجهات نظرهم هم مصدر معلوماتي فكيف سأحصل على معلومات موضوعية؟ ولكن يبدو من الواضح أن بوش غير مهتم بالحصول على معلومات موضوعية. إنه لا يرغب أن تهتز نظرته العالمية أو أن تتحطم. ولا الآخرون يريدون ذلك.

جيرمي إيرب: هل أنت من المسالمين أنصار اللاعنف؟

لا، وكوني فزت بجائزة نوبل للسلام لا يعني بالضرورة أنني من المسالمين، وهذا واضح حين ننظر إلى هنري كيسنجر الذي فاز بجائزة نوبل للسلام ولكنه في نظري مجرم حرب. إنني لست من المسالمين. بل من المؤمنين بضرورة وجود جهاز للأمن والقيام بأعمال عسكرية. وهذا من ضروريات الحياة. فإذا اقتحم شخص منزلك، فمن الطبيعي أن تتصل بالشرطة لكي يقبضوا على ذلك المجرم

ويودعوه السجن. وعندما يهاجم الإرهابيون الولايات المتحدة فإنني أدعم كامل الدعم العمل مع المجتمع الدولي والمشاركة في المعلومات الإستخبارية من أجل القبض عليهم وتقديمهم للعدالة، ووضعهم في الحبس مدى الحياة. ولكنك مع ذلك لا تقوم باحتلال دولة أخرى لأنك لا تحب حاكمها. فهذا خرق للقانون الدولي. إن بإمكان إدارة بوش أن تخرق القانون الدولي دون حساب أو مسؤولية، إلا أن التصرف بهذه الطريقة وعلى هذا المستوى ستترسب إلى كافة مستويات المجتمع. وإذا ساد الاعتقاد لدى الناس أن بإمكان أصحاب السلطة فعل ما يشاءون دون مساءلة، فإن هذا التفكير سينعكس على النسيج الاجتماعي. لقد عملت في أمريكا الوسطى خلال حروب الثمانينيات، والتي أحب أن أطلق عليها حروب ريغان- بوش، ولم أكن مسالمة وقتها، وقد رأيت بأم عيني ما حدث لنسيج تلك المجتمعات عندما قام الجيش والساسة بفرض إرادتهم بكل فظاظة ودون مسؤولية من قتل للأفراد، وسلب للممتلكات- إنها تدمر نسيج المجتمع. فكيف سيحترم الناس القانون بعد هذا كله؟ إنه أمر مفزع حقاً.

جيرمي إيرب: في المقابل، نجد هذه المجموعة من أصحاب التوجه الانفرادي في السياسية الخارجية، وكما ذكرت، يبدو أن أجندتهم بعيدة كثيراً عن الأمم المتحدة. ولديهم مشاكل مع فرنسا؛ ويسعون إلى إعادة تشكيل أوروبا، الخ. ولكن أليس صحيحاً أن هذه الأجندة ممكنة سياسياً؟ لأنهم في اللحظة التي يبدأون فيها بالتهجم على فرنسا والأمم المتحدة تتوسع قاعدتهم الشعبية ويزداد تأييد الناس لهم. لذلك لم يكونوا بحاجة إلى إخفاء تلك الأجندة. وتأسيساً عليه، ما الذي يكشفه ذلك عن نظرة أفراد الشعب الأمريكي إلى الأمم المتحدة وحلفائنا؟

إنني شخصياً لا أكن الكثير من الاحترام للأمم المتحدة. برغم أنني أدعم الحاجة إلى وجود هذه المنظمة. وأعتقد أنها بحاجة إلى عملية إصلاح شاملة،

ولكنني لا أعتقد أن هذا الإصلاح ينبغي أن يكون على طريقة بوش وإدارته. عليك أن تعمل من خلال الأمم المتحدة نفسها لتحقيق التغيير. لقد كان من المزعج أن نشاهد بوش يرجع إلى الأمم المتحدة لتغطية عورته بعد أن ظهرت بوادر الفشل في احتلال العراق. فهو لا يريد التعامل مع الأمم المتحدة إذا كان ذلك في صالحه، ولكن إذا كانت الاستعانة بالأمم المتحدة لصالحه فلا يتأخر في طلب تلك المساعدة. ومرة أخرى، أعتقد أن الشعب الأمريكي جاهل جهلاً مطبقاً بالأمور والقضايا التي تحدث خارج الولايات المتحدة، وأعتقد أننا بلد أبرشي محلي إلى حد لا يمكن تصوره. وقد اطلعت مؤخراً على إحصائية حول نسبة الذين يقرأون الصحف، ولا أذكر الأرقام على وجه التحديد، ولكن النسب كانت فظيعة، نسبة أفراد الشعب الذين يحملون جوازات سفر، أو نسبة الذين سافروا خارج البلاد. وما أقصده هو كيف يمكن أن يكون لديهم أدنى فكرة عما يدور في العالم إذا كانت هذه هي حالهم؟

إن من طبيعة البشر الميل نحو تصديق قادتهم، وتصديق ما تعلموه من أساطير. وأنا بصدد نشر كتاب هو حصيلة سنتين من الاستماع إلى الناس وهم يعبرون عن جهلهم بالسياسة الخارجية الأمريكية. وسأحاول أن أقدم للناس مدخلاً لفهم الفجوة الشاسعة بين أسطورة القيم الأمريكية والقيم الحقيقية التي تبنى عليها السياسة الخارجية. إن هذه الفجوة في السياسة الخارجية هي التي تجعل بقية العالم يكره أمريكا، وينظر إلينا باعتبار أننا منافقون إمبرياليون. إلا أن الشعب الأمريكي يجهل تاريخ هذا البلد، ولذلك فهم في غفلة تامة. إنهم يريدون تصديق أننا نقف مع الديمقراطية في كل مكان. وأننا نقف مع حرية التعبير وحرية الصحافة وحرية المعارضة بكل قوة. وقد نكون كذلك أحياناً، وفي معظم الحالات لسنا كذلك. ويجب على الناس أن يعوا ذلك لكي يفهموا لماذا يكره الناس هذا البلد. ومعرفة الحقيقة ليست دائماً أمراً مستساغاً. والجهل نعمة كبيرة، وأتمنى لو كنت جاهلة، ولكنني ولسوء الحظ لست كذلك.

جيرمي إيرب: هل ينبغي أن يكون الناس خائفين نتيجة لهجمات 11 سبتمبر؟

هل ينبغي أن يخافوا من هذه الحكومة أم من الإرهابيين، أم من كلا الطرفين؟ أعتقد أن عليهم أن يخافوا من كلا الطرفين. إنني أخاف من حكومة بوش. وأنا خائفة مما يفعلوه بالولايات المتحدة وبالعالم. إنني خائفة بسبب استعدائهم لعدد كبير من حكومات العالم. إنني أبغض استخدام عبارة "الحرب على الإرهاب" والتعامل مع تهديدات الإرهاب. وأعتقد أن تهديد الإرهاب هو تهديد حقيقي. وما يدهشني حقاً هو أن الناس يتصرفون وكأن 11 سبتمبر هو الهجوم الإرهابي الأول من نوعه، لقد تعرض البرجان التوأمان لمركز التجارة العالمي للتفجير عام 1993. وماذا عن تفجير سفاراتنا في إفريقية؟ ليست هذه المرة الأولى التي تتعرض فيها الولايات المتحدة أو المصالح الأمريكية لهجوم إرهابي. إنني أقدر أن 11 سبتمبر كان أضخم حجماً وأوقع أثراً، ولكنه ليس ظاهرة جديدة. والفرق الوحيد هو أن هذا الحدث جرى استغلاله بشكل درامي.

جيرمي إيرب: هل توجد صلة بين ما قمت به من عمل، وتحديداً تجربتك في مجال مكافحة الألغام الأرضية، وبين ما تشاهدينه وتشعرين به تجاه هذه الإدارة؟

من الجوانب المشرقة في قضية مكافحة الألغام الأرضية هي الآلية التي جرى العمل فيها. فقد تضافرت الجهود العالمية لوضع الاتفاقية الخاصة بحظر الألغام الأرضية، وكانت أمراً راديكالياً ومختلفاً. لقد عملنا خارج نطاق الأمم المتحدة، وليس هذا لإهانة الأمم المتحدة بل لقناعتنا بأن جمود هيكلية المنظمة سوف لا يثمر ما نسعى إلى تحقيقه، وهو ببساطة وضع معاهدة تحرم تحريماً فورياً إنتاج وبيع وتخزين الألغام الأرضية لأن هذه الألغام تقتل وتشوّه كثيراً من الخلق حول العالم في أكثر من ثمانين دولة. وقد تمكنا من تحريك الرأي العام

في العالم إلى الحد الذي دفع الحكومات إلى المخاطرة، وأنا أقول مخاطرة لأن هذه الحكومات ارتكبت مخاطرة سياسية في تعاملها مع هذه المشكلة بطريقة تختلف عن تعاملها الاعتيادي مع المشاكل الدولية الأخرى. فقبلت بالعمل خارج إطار الأمم المتحدة؛ ووضعت نظاماً خاصاً للتفاوض حول معاهدة دولية تخضع لنظام الأغلبية. وفي ظل النظام الحالي للأمم المتحدة بإمكان دولة واحدة أن تعرقل المفاوضات، فقد تجتمع مائة دولة في قاعة واحدة للتفاوض بشأن معاهدة ما، وبمجرد اعتراض دولة واحدة فإن هذه المفاوضات تتوقف عن الحركة. هل هذه ديمقراطية؟ إنها دكتاتورية الحكم الفردي. وباعتقادي أن هذا النظام المعمول به الآن هو نظام شائن.

لقد تمكنا من وضع نظام مختلف للتفاوض حول معاهدة حظر الألغام الأرضية، وعملنا ضمن شراكة مفتوحة مع الحكومات ومنظمات المجتمع المدني، كما عبرت عنها الحملة الدولية لحظر الألغام الأرضية والمؤلفة من 1400 منظمة مختلفة من مختلف دول العالم والتي تضافرت جهودها في سبيل هذه القضية. واشتركت وكالات مختلفة تابعة للأمم المتحدة كالصليب الأحمر الدولي على سبيل المثال. كنا نعمل جميعاً نحو هدف واحد وهو البحث عن طريقة لحظر الألغام، وعملنا معاً لضمان التزام الأطراف بأحكام المعاهدة، وهو فارق كبير، وهذا هو سبب نجاحنا. لم نكتف بالتصفيق بعد الانتهاء من التفاوض على المعاهدة وعودة كل واحد منا إلى عمله المعتاد. كان لدينا قناعة بأن ذلك هو البداية فقط، بداية احتمال نهاية الألغام الأرضية. ولولا أننا تمكنا من إقناع الدول على التصديق على المعاهدة وتطبيق الالتزامات المترتبة عليها لكنا أمام شيء مختلف. فمن كان سيلقي بالاً لما سيحدث بعد ذلك؟ وماذا في ذلك؟ لدينا وثيقة رائعة. لقد كنا نرغب أن تكون تلك المعاهدة قابلة للحياة. وجعلناها كذلك. وأرينا العالم أن هناك طرقاً ووسائل مختلفة في التعامل مع المشكلة.

ومن القضايا التي أفرزها نموذج التعاون المنبثق عن حملة حظر الألغام الأرضية هو إنشاء المحكمة الجنائية الدولية. وهي تعكس تحالفاً قوياً في التعاون بين المنظمات غير الحكومية والحكومات لإنجاز تلك المحكمة على الرغم من معارضة الولايات المتحدة. وكانت معارضة الولايات المتحدة معارضة أشرس من المعارضة التي واجهناها في معاهدة حظر الألغام الأرضية. وباعتقادي أن العالم في وضع سيء، ولكنه أيضاً في وضع أصبحت تدرك فيه الحكومات أنها إن أرادت من العالم أن يكون شيئاً مختلفاً، فإن عليها أن تقف مع المبادئ وتحدث التغيير. ولا يمكنك أن تجلس مستريحاً وتقول:"يا إلهي، الولايات المتحدة فظيعة.." إذا كنت لا تحب أن تهيمن الولايات المتحدة على العالم، فبادر إلى العمل مع الآخرين لتغيير ذلك بطريقة إيجابية. وهذا ليس بالعمل السهل، ولكن ما هو البديل؟ الرضوخ للهيمنة؟ لا، فهذا ليس من شيمي.

جيرمي إيرب: من الانتقادات المفضلة لدى بل أورايلي التي يوجهها للمعارضين للحرب هي وصفهم "بالدوليين". ويقول بأنه يضع أمريكا أولاً. ثم يأتي شخص مثل روبرت كيغان وهو من المحافظين الجدد، ويقول بأن الفرنسيين ليس لهم حق في معارضة هذه الحرب لأنهم يتعامون عن حقيقة أنه لولا القوة العسكرية الأمريكية التي تحميهم لما تمكنوا من الاستمتاع بترف الجلوس والتفلسف حول أعمالنا العسكرية؟

أنا أمريكية. وبإمكاني المراهنة على أن الفرنسيين لا يعتقدون أنهم محنيون بالأسلحة الأمريكية. وأنا لا أشعر أنني الآن أكثر أمناً منذ احتلالنا العراق دون أي استفزاز صادر عن ذلك البلد. ولا أظن أن بقية العالم تشعر بأنها أكثر أماناً لأن الولايات المتحدة قامت باحتلال العراق. فهل أدى ذلك إلى نشر الأمان في العالم؟ هل أدى ذلك إلى شعور العالم فجأة بأن الولايات المتحدة تصول وتجول

من أجل توفير الحماية لسكان الأرض جميعاً؟ لا، إنها جعلت العالم يشعر أن هذه الحكومة تتصرف بجنون وتهور. وهذه الصورة تختلف كثيراً عن الصورة الرائعة للولايات المتحدة التي تدخلت لدحر هتلر واليابان]في الحرب العالمية الثانية.[تلك الصورة تختلف عما نشاهده اليوم. إنهم يقلبون الحقائق ويحرفون التاريخ ليجعلوا الأمر يبدو واحداً. ولا تشابه بين الحالين. وأنا، بصفتي أمريكية، لا أشعر بالأمان في ظل قيام هذه الحكومة بإرادتها المنفردة وعملها الأحادي باحتلال الدول. إنني لا أشعر بالأمن مع هؤلاء الناس. وليس هذا لأنني أجوب العالم معبراً عن محبتي لبقية العالم. إنني أشاهد كثيراً من السفاهات في الدول الأخرى. لقد تعاملت مع تلك الدول وحكوماتها. ولكنهم لا يحتلون دولاً أخرى لأتفه النزوات. لست قلقة مما يفعله الفرنسيون. إنني قلقة مما يحدث في هذا البلد. إنه بلدي وموطني، وقد قامت حكومتنا باحتلال دولة أخرى من دون استفزاز. ولي كل الحق أن أقف معلناً معارضتي لهذا العمل. إنني لا أشعر بالأمان في ظل هذه الحكومة. ولا أعتقد أن احتلال العراق جعلنا أكثر أماناً وسوف أقول ذلك بملء في.

جيرمي إيرب: ما الذي يمكنك أن تقوليه لأناس مثل عمي مثلاً، فهو شخص طيب، ذكي، ومن الطبقة العاملة، محافظ، ويؤيد جورج بوش والحرب؟

سأسأله عن اعتراف بوش في أكتوبر أو نوفمبر من عام 2003 بأنه لا يوجد صلة بين صدام حسين و هجمات 11 سبتمبر التي وقعت في نيويورك وواشنطن. لقد اعترف بذلك أمام الملأ خلال مؤتمر صحفي. إذا لم يكن هناك أي صلة، فلماذا تواصل حكومته الكذب على الشعب الأمريكي والإيحاء لهم بوجود تلك الصلة؟ إذا كان السيد بوش يريدنا أن ندعم سياساته في احتلال العراق من أجل الإطاحة بصدام حسين، ولتطبيق الديمقراطية في العراق، في محاولة أشبه ما

تكون بنظرية الدومينو المعكوسة لنشر الديمقراطية في تلك المنطقة بكاملها، فلماذا لم يصرح للشعب بذلك للكونغرس والشعب الأمريكي علناً وبنزاهة من البداية؟

إن الرئيس الذي يكذب على الشعب الأمريكي وعلى الكونغرس من أجل تحقيق أهدافه وسياساته،هو في نظري، يستحق أن يخضع لتحقيق من الكونغرس على الأقل، إن لم نقل توجيه التهمة إليه. أعتقد أن على الرئيس أن يكون صادقاً فيما يقوله للشعب. لقد كذب هذا الرئيس على شعب أمريكا. لماذا غضب الناس من كذبة كلينتون؟ مع أن كذبة كلينتون لم تذهب بحياة أحد، وبالكاد أثرت في سمعته وعلاقته مع زوجه، أليس كذلك؟ لم تؤثر على أمن البلاد. أما بوش فقد كذب على الكونغرس وعلى الشعب الأمريكي ومع ذلك ينتظر منا أن نقبل بذلك دون اعتراض؟ هل يفترض فينا أن نصفق لهذه الحرب؟ إنها حرب بوش. وليست حرباً يمكن أن تحمينا من الإرهاب. ولا يعنيني كثرة ترديده تلك المقولة. إنها لا تحمينا من الإرهاب، وسنتعرض للهجوم مرة أخرى.

فريدركسبيرغ، فيرجينيا

6 **يناير**، 2004

obeikandl.com